لغة الضاد لا لغة "عاميي"

بقلم الدكتور
جبرائيل جبّور

« أوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا يا سعد تورد الابل »

كان ذلك منذ عشر حين جاءني أحد الادباء وطلب مني حديثا لمجلة يريد اصدارها ، وقال انها اسئلة القيها عليك واود الاجابة عنها . قلت : تفضل ! ومن الغريب ان السؤال الاول كان : هل في رأيكم ان دعوة سعيد عقل الى احلال اللغة العامية اللبنانية محل اللغة العربية الفصحى في وسعها لو اخذ بها ان تطبق عمليا في الفلسفة والعلوم فضلا عن الادب ؟

ولعله يرضي أخي الاستاذ سعيد ان يعلم اني اجبت السائل : « لست ارى ما يمنع العامية سواء أكان الداعي اليها سعيد عقل أو غيره من ان تكون قادرة على التعبير عن المعاني الفلسفية او العلمية او عن الخواطر الادبية . ومرد الامر في رأيي هو العالم او المفكر او الكاتب نفسه . فاذا كان متمكنا من علمه أو فنه استطاع ان يعبر عنه باللغة التي يجيدها ، أعجمية كانت أو عربية ، وعامية كانت او فصحى » .

ولم ابد عندها اي تحفظ لا من حيث ضآلة مفردات العامية اذا قيست بالفصحى ولا من حيث تحديد معنى اللبنانية . وقد لاحظت من وجه السائل انه بدا عليه شيء من الاستغراب . ثم اثار القضية من زاوية اخرى . وهي : هل من داع الى العدول عن الفصحى الى العامية ؟ واجبته بلا ، وقلت : اقولها بصوت عال واكتبها بحرف بارز كبير . واذا كان بعض الناس يزعمون ان الفصحى عاجزة عن التعبير عن الفكر او الفلسفة او العلم فالرد على ذلك الزعم هو ان العجز ليس في اللغة الفصحى بل في بعض اصحابها . ولكي لا يتبادر الى ذهن السائل اني اغمز من قناة أخي سعيد لانه ذكر اسمه أو اقصد عجز بعض الدعاة الى العامية تابعت الكلام وقلت له : وانا اضمن لك ان سعيد عقل نفسه لقادر ان يعبر حين يشاء عن ادق الخواطر الادبية والفكرية ، وان شخصا مثل شارل مالك وكان يمكن ان اسمي غير شارل مالك تخصص بالفلسفة والاجتماع ليستطيع أن يعبر عن ادق الفكر الفلسفية باللغة العربية الفصحى . بل اني لم أر للاخير حتى الآن اثرا فكريا باللغة العامية اللبنانية التي يجيدها على كثرة ما له من المقالات والمحاضرات والكتب في الفلسفة والسياسة والاجتماع . واستمر السائل يسأل وانا اجيب ، ونشر ذلك الحديث منذ عشر تماما في مجلة تحمل اسم « بروق ورعود » .

وتلاحظون قبل كل شيء اني لم أنكر على العامية لمجرد انها عامية قدرتها على التعبير عما يشاء صاحبها اذا كان في الوقت نفسه ملما بما يريد ان يعبر عنه من علم او فلسفة أو ادب او فن ولو عن طريق لغة اخرى تعلمها . ولكني لم أر داعيا الى العدول عن الفصحى الى العامية .

وكنت أود لو كنت اطلعت قبل هذه الامسية على ما قاله الاخ الزميل سعيد وما ذكره من اسباب محاولا تأييد دعوته للعدول الى العامية كي ارد عليها ، ولكني سأحاول ذلك في اثناء حديثي او في آخره اذا اقتضى الامر ، واكتفي هنا بعرض ما اراه مقنعا لرفض هذه الدعوة التي لا ارى مبررا لها .

ولعل أول شيء يجب ان نلتفت اليه في هذا اللقاء هو الاتفاق على تحديد الغاية من اللغة . هل الغاية هي ان نفهم ما يقوله غيرنا لنا حين يتكلم او يخطب وحسب ؟ أم انها تتعدى ذلك الى امور في حياتنا الفكرية والاجتماعية والقومية ؟ والشيء الآخر الذي أود أن الفت اليه هو انه ليس من الضروري أن تتفق كل اللغات في هذا الامر ، فان بعض ما يصدق في بعض اللغات من الاثر الذي لها في نفوس أصحابها عند بعض الامم يختلف عما نرى في بعضها الآخر . ولزيادة الايضاح اقول ان الشعوب السامية وبخاصة العرب هم أكثر الشعوب تأثرا بوقع اللفظة وسحر الكلمة حتى قالوا : « ان من البيان لسحرا » . ماذا اقول ؟ لقد قدّس الساميون الكلمة وعبدوها واعتبرها بعضهم وحيا من الله لقنه الملاك وجبريل بدوره نقله شفويا للنبي الرسول . فصار وقعها في مسامعهم وبخاصة مسامع العرب منهم يهز العواطف والنفوس . ولو اتسع المقام لذكرت لكم مواقف خطابية في التاريخ العربي كانت أوقع سلاح في دفع الجماهير الى الغرض الذي يريده الخطيب وكذلك

القول نفسه في الشعر واثره في نفس العربي . يدخل الاخطل الشاعر النصراني وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب ولحيته تنفض خمرا ، يدخل على الخليفة المسلم عبد الملك بن مروان وينشده شعره :

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا
وازعجتهم نوى في صرفها غِيَر

فيهتز عبد الملك في مجلسه طربا ويامر غلمانه بغمر الاخطل بالخلع والجوائز ويقول : ماذا يا اخطل ؟ اتريد أن ينادى في الآفاق ان لكل قوم شاعرا وان شاعر بني امية الاخطل ؟

ولا اغالي اذا قلت ان كثيرا من الغناء الذي كان يستهوي الجماهير العربية في عصورها المختلفة وفي حواضرها المختلفة في كل البلاد العربية وبخاصة اليوم في لبنان هو الغناء الذي وضع بشعر بليغ في العربية الفصحى سواء أكان من شعر شوقي أو من شعر الاخطل الصغير او غيرهما ، وأم كلثوم نفسها التي ملأ صوتها الدنيا في عصرها وشغل الناس كانت في انشادها تنال الاعجاب الاكبر حين تغني الشعر الفصيح ، ومثلها محمد عبد الوهاب ، وبخاصة حين يكون القول بليغا وله وقع عظيم . واني أذكر غناء أم كلثوم مثلا في أبيات من قصيدة شوقي في ذكرى المولد التي مطلعها :

سلوا قلبي غداة سلا وتابا
لعل على الجمال له عتابا

واذكر انها حين تبلغ قوله :

وعلمتنا بناء المجد حتى
اخذنا امرة الارض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

كيف كان ينفجر الجمهور تصفيقا وهتافا يدوي الى عنان السماء .

وما لي اذهب بعيدا وبالقرب من هذا المنتدى نفسه من يهزني صوتها أكثر من صوت أم كلثوم : نجمة لبنان فيروز ـ ولكن على تقديري واعجابي بالصوت الملائكي الذي يتسامى في حنجرتها فاني ازعم انها حين تنشد غناءها بشعر في اللغة الفصحى كغنائها مثلا في شعر سعيد عقل نفسه :

من اين يا ذا الذي استسمته اغصان
من اين انت فداك السرو والبان

وتبلغ :

لي صخرة علقت بالنجم اسكنها
طارت بها الكتب قالت تلك لبنان

فان الهزة التي تعروني والطرب الذي يغمرني كما لست اشكّ انه يغمر كل من يسمعها ويحب لبنان ساهم فيهما ، كما احسّ انا نفسي ، سعيد عقل بشعره الرائع بالعربية الفصحى ، ولا اظنه لو استعار لهذه المعاني نفسها عامية ما حتى من السماء كان يمكن أن تضاهي وقع هذه الابيات مقرونة الى صوت فيروز . اسمعوا قوله : « هنا على شاطىء أو فوق عند ربى » ، وكيف تصوغها يا أخي سعيد بالعامية : « هون عالشاطي أو فوق عالتلال » ؟

ولا يظن أحد ان سعيدا لا يجيد الشعر الا اذا تغنى بأمجاد لبنان . فان له في النشيد الذي وضعه لجمعية العروة الوثقى في تمجيد العرب ولغتهم ما لا يبلغه هو نفسه لو شاء أن يضع مثله بالعامية اللبنانية أيا كانت زحلية أو شويرية أو كسروانية أو طرابلسية أو شوفية :

للنسور ولنا الملعب
والجناحان الخضيبان بنور ـ العلى والعرب
ولنا الفول الابي والسماح اليعربي
ولنا هز الرماح في الفضوب المشمس
ولنا زرع الدنا قببا زرق السنا
ولنا صهلة الخيل من الهند الى الاندلس
لا يني الدهر من كتبناه سطورا
يقرأ النور حيث حطّ الحافر المهر
والغد ...
ركبنا الموسوق عزما ومنى
طاويا عن جانبيه الزمنا
خذه من انملنا ... امة تبني وملكا يخلد

زعمت سيدة أحترمها وهي من دعاة العدول الى العامية ، ان اللغة المحكية توفر نصف الوقت عادة على مستخدميها . وقالت : لنأخذ جملة عادية ١٢ مترا = ٤ مقاطع في اللغة المحكية وتمثل تقريبا ما تمثله الكلمات نفسها بالفصحى ، وهذا يعني ان كتابا باللغة المحكية من مئة صفحة يكون من مئتي صفحة لو كتب بالفصحى. ثم قالت : لنحسب كم سنوفر على انفسنا من الوقت ومن المصروف المادي والعناء لو اعتمدنا لغة حية (تقصد العامية اللبنانية) .

وانا أتحدى السيدة نفسها ان تكتب لي هذا النشيد بلغة محكية بأقل من هذه الكلمات ، هذا عدا ان استشهادها بعبارة من كلمتين وفيها عدد مركب لا يصح في بحث علمي للمقارنة . زد على هذا ان مقاطع العبارة في الفصحى لا تبلغ ثلاثة اضعاف او حتى ضعفي المحكية كما زعمت . ولكني حاولت التوسع في هذه النظرية فاخترت سورة من القرآن الكريم وهي سورة الفيل مترجمة الى ثلاث لغات : الفارسية والانكليزية والفرنسية ، وعددت كلماتها مع البسملة فكانت في الفارسية ٤٨ وفي الفرنسية ٦١ وفي الانكليزية ٦٧ ، بينما هي في العربية ٢٧ : « الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » . وقد حاولت جهدي ان اضعها بعامية

في كلمات اقل أو مقاطع أقل فلم استطع : وبلغ عدد المقاطع في العربية ٦٦ وفي الفارسية ٧٦ وفي الانكليزية ٧٤ وفي الفرنسية ٨٥ .

وأخذت عبارة واحدة من سورة أخرى للتدليل على ان عباره صغيرة لا تكفي للمقارنة وقرات « يوم تبلى السرائر » ، فاذا ترجمتها الانكليزية تبلغ عشر كلمات والفرنسية ٧ كلمات والفارسية مثلها ٧ كلمات ، لكنها في الفصحى ثلاث .

وما لي أذهب بعيدا ، ساهمت في ترجمة كتاب « تاريخ العرب » لفيليب حتي من الانكليزية وطبعت الترجمة فكان مجموع سطور الترجمة العربية نحو ٢٣ الفا بينما سطور الاصل الانكليزي تزيد على ٣٢ الفا . ولم يكن فرق في عدد الكلمات في السطر اكثر من كلمة واحدة . كذلك قابلت ترجمة الكتاب المقدس صفحات وسطورا ومعدل كلمات فكانت النتيجة نحو تسع مئة الف في الانكليزية وأقل من ست مئة في العربية . وأعود الى أمر اللغة فأرى أن اللفظة هي الاساس ، وهي لا تكون منعزلة في مدلولها بل لها مشاركة فعليه في تفكيرنا وعواطفنا واحساساتنا .

نحن نستعين باللفظة حين نفكر ليفهم بعضنا بعضا ، ولا نستطيع أن نعرض الاشياء على أنفسنا الا بقالب هذه الالفاظ التي تعلمناها فننتقي ما يروقنا للتأثير على السامع أو القارىء وللحصول على الرضى النفسي في بلوغ مأربنا الفكري أو الادبي أو القومي . فاللغة اذن ليست أداة للتفاهم والتداول والتعاون والتعامل الاجتماعي وحسب وانما هي أيضا أداة نستعين بها لبعث الحركات والفتن والثورات ولبناء القوميات وتهديمها وتحرير الشعوب واستعبادها وللبحوث العلمية وانمائها . ولست أرى كيف تستطيع العامية اللبنانية أن تجاري الفصحى في أي من هذه المواقف كلها .

سارت العامية ، على وجه عام ، في كل الاقطار العربية مع الفصحى وعاصرتها أجيالا طويلة اقتصر شأنها فيها على الحديث في الحياة العادية وبعض الفنون الشعبية ، ولم تستطع أن تتغلب عليها أو تحل محلها حتى في الاقطار التي غلبت فيها العناصر الاعجمية . وحتى في الاندلس حين أخذت العامية تظهر بعض قرونها في الشعر الموشح فان هذه القرون ما لبثت أن تكسرت أمام الموشح الفصيح الذي هو في البليغ منه تطور من الشعر العربي الفصيح . وماتت العامية وعاش الموشح حتى اليوم .

واذا اعتبرنا عدد المفردات في الفصحى وفي العامية أدركنا غنى الاولى وتفوقها بما لا يقاس ، وكذلك قل في التركيب والجمل وفي أساليب البلاغة وفي الاستعارات والمجازات والتشابيه وما اليها من ضروب البيان .

أنا لا ازعم ان العربية الفصحى بلغت الكمال ولهذا فيجب أن لا تتغير أو انما يجب أن تطبق في كل فروع الفنون والحياة الشعبية ، ولكني أذهب الى انها جابهت مثل هذه الحالة التي تجابهها في هذا العصر ازاء الحضارة الجديدة حين احتكت الامة العربية بحضارات الامم التي اتصلت بها قبل الاسلام وبعده مغلوبة وغالبة من أراميين وأحباش وفرس وروم ، واستطاعت أن تكيف نفسها بعدما كان أصلها لغة قوم بداة ، وأن تتطور بحيث لم تعجز عن التعبير عن الفكر الفلسفي أو العلمي ، بل ان اكثر العلماء الاعاجم أنفسهم بعد الاسلام لم يعبروا عن الفكر والفلسفة الا بها فأغنوها واغنتهم ، بفضل تمكنهم من علوم أقوامهم وفلسفتهم وبفضل مرونة اللغة العربية التي اقتبسوها من أهلها وبفضل ابنيتها المتينة واشتقاقها واتساق أقيستها وحسن تركيب جملها . فلا مفرداتها قاصرة ولا تراكيبها عاجزة عن اداء أجلّ المعاني واعقدها اذا اردنا ذلك .

وهذه معاجمها تحوي من حيث المفردات العلمية العربية والمعربة ما يوازي ما في معاجم أي لغة راقية أخرى . وانما تستطيع أن تقتبس ما تشاء من المفردات بشكلها أو بشيء قليل من التحوير كما فعلت في قديمها . استعارت من شقيقاتها الساميات وغيرهن كثيرا من المفردات التي احتاجت اليها . عرّبتها وتبنتها وعنيت بها .

فمن الحبشة استعارت ألفاظا دينية ودنيوية لم تكن تعرفها ، منها حواريون ومنافقون ونافق وفطر ومنبر ومحراب ومصحف وبرهان ومشكاة وسكة وخوخة وبغل وتاريخ وغيرها . ومن الفارسية أخذت قبل الاسلام وفي أوله اصطلاحات في الادارة مثل : ديوان ورزق وفرسخ وتاج ومرزبان ودهقان ، وفي الامور المتعلقة بالدين كلمة دين نفسها وجناح ومجوس ونيروز وفردوس ، وفي غير ذلك كلمة فيل وجاموس ومسك وديباج واستبرق وصنج وابريسم وطيلسان وقمط وسراج وخندق ، هذا عدا عشرات أخرى عربت مثلها في العصر العباسي وبعده. ومن الارامية وساطتها، ولا سيما قبل الاسلام ، حين كانت اللغة الارامية على اختلاف لهجاتها سائدة في فلسطين وسوريا وبين النهرين وبعض العراق أخذت أسماء كثيرة من النباتات التي لم تعرف في الجزيرة من قبل ، وكثير من غير النبات مثل رمان وزيت وخمر وكبريت ومرجان وبلور وسم وباب وقفل وزجاج وكيس وسكين وسيف وخاتم وفي الفاظ الادارة : سلطان وامة وعالم ومدينة وسوق وقسطل وسبيل وساعة وكتب وكتاب وقرأ ونقطة وصورة وتفسير وتلميذ ، وفي أمور الدين رحمان وقيوم وسكينة وفرقان وملاك وصلتى وصام وتاب وزكى وكفر وصلب وصليب وعيد وزنديق ودجال ، وهناك الفاظ اكدية دخلت في الارامية واستعارتها

العربية منها ومثلها ألفاظ شوميرية . وهناك كلمات يونانية أو لاتينية وصلت الى العربية عن طريق اللغة الحبشية أو اللغة الفارسية مثل انجيل وهي في الحبشية انجيل وفي اليونانية ايفانجيليون ، وقلم وهو في الحبشية قلم وفي اليونانية كلمس . أما في العصور العباسية وقبلها في صدر الاسلام فدخل العربية عشرات المفردات ومن أقدمها ابليس وجنس وزوج وقرطاس وازميل وفندق ولص ، وبعضها دينية دخلت في اليونانية ثم الارامية ثم العربية ومنها صراط وميل وقصر وقنطرة وقنطار ودينار ، فهضمت هذه الالفاظ وتمثلتها واصبحت جزءا منها ، ولا يشعر اكثر أبناء الامة العربية اليوم انها ألفاظ دخيلة . هذا قليل من كثير مما كتبه المستشرق الالماني برجشتراسر عن رقي العربية وتفوقها على شقيقاتها وقدرتها على التطور والنمو والاختراع (*) .

فاللغة العربية الفصحى قابلة للتطور والاقتباس والتعريب ، ولا يضير حين تجابه بلفظ لاختراع جديد أن تقتبس هذا اللفظ بشكله أن وافق طبيعة اللغة أو بشيء من التحوير كما فعلت في قدمها ، لكن هذا كله يجب أن لا يقف أمام شيء لم أعرض له وهو اللغات الاجنبية وموقفنا منها في سبيل التطور ، وهنا اقول : ان التطور يجب أن يتم على أيدي أبناء اللغة المتخصصين في فروعهم المختلفة ولا يمكن أي منخصص أن يصل الى درجة العالمية الصحيحة ما لم يكن ألمّ بلغة علمية على الاقل غير لغته .

وسيمر وقت طويل نظل فيه عالة في الحياة العلمية والتقنية على غيرنا من الامم المتقدمة ، فلا بد اذن من اتقان لغة من لغاتهم . هذا ما يفعله طلبة الجامعات في الدول الصغيرة مثل الدانمرك واسوج ونروج وسويسرا وغيرها . بل هذا ما يفعله اكثر المتخصصين من طلبة الجامعات في البلاد الكبرى كفرنسا والمانيا وانكلترا وحتى روسيا وأميركا، وهذا ما سيساعد اللغة العربية الفصحى في مستقبلها امام تحديات العلم الحديث وليس العدول الى العامية التي تميل بالامة الى التدهور والانحطاط .

وأرى من ناحية ثانية . في الوقت نفسه ، أن الصعوبة التي يلقاها بعضهم في التعبير عما يدور في خلدهم من فكر أو خاطرة أو في الافصاح عن شرح لقضية علمية أو لامر تقني مردها الى ضآلة ما قراوا أو درسوا باللغة العربية . واني ازعم ، متى أصبح العرب انفسهم على مستوى علمي يقرب من مستوى الامم المتقدمة علميا وتقنيا ، وأصبحت جامعاتهم ومدارسهم في مستوى الجامعات والمدارس العلمية والتقنية الراقية ، ومتى درست العلوم الاساسية وغيرها في المدارس الثانوية باللغة العربية ، ومتى أصبح في البيت العربي مكتبة ولو صغيرة للاطفال ولغير الاطفال ، ينشأ الاولاد على القراءة في كتبها العربية مما يوافق أمزجتهم وعقولهم . أن اللغة تنهض بدورها معهم وتتطور بتطورهم وتصبح لغة حياتهم وعلمهم وتفكيرهم فيعبرون بها حين يتكلمون أو يكتبون عما في نفوسهم وعقولهم ، ويصوغون بها ما يعرفون أو يخترعون . ويكون اذا كتب باحث علمي في موضوع ما بهذه اللغة . يعرف ان وراءه في أمته قراء متعلمين كثيرين ، وعندئذ يشعر مثل هذا الباحث العالم بالرضى عن نفسه وعمله ، وتغنى اللغة بدورها وتعزز ، وتشعر الامة بالكرامة والفخر بأن أبناءها يساهمون مساهمة أصيلة في بناء الحضارة .

ولا أنسى في هذه المناسبة ان أؤكد قيمة تراثنا الادبي والفكري والتاريخي في اللغة العربية الفصحى ، وأن أشدد على حرصنا على حفظ الصلة به التي ستنقطع اذا جنحنا الى العامية . فهناك ألوف الكتب التاريخية والعلمية والادبية ومئات الدواوين الشعرية المطبوعة ، ولا يزال ألوف من الكتب الخطية في الدنيا لم تنشر بعد ومنها ما لا تزال مضامينها مجهولة حتى اليوم ، وكيف تقطع صلتنا بهذا التراث الغني . الذي كان بعضه أساس النهضة الاوروبية التي نتمسك بأذيالها اليوم — بل لولا اللغة العربية لما عرف قسم من فلسفة اليونان وعلمهم ولا من علوم الرياضيات في فروع الحساب والجبر والمقابلة بحيث لما ألفوا فيها نقلت بعد ذلك من العربية الى اللاتينية وعلمت في جامعات أوروبا كما يعرف الجميع . حتى الارقام التي أخذناها عن الهند نقلها عنا الغرب ودعاها أرقاما عربية واحتفظوا بأشكالها . كانت هذه الفصحى نفسها واسطة نقل تلك الحضارة بفروعها المختلفة . ولسنا كالاتراك الذين لم تكن لهم حضارة ولا تراث ، بحيث نعدل الى الحرف اللاتيني ونعود الى أمية أشد وأدهى .

واعرضوا أهم اللغات الاجنبية التي تفرعت عن اللاتينية لتروا اثر العربية في كثير من مفرداتها ولا سيما في الكلمات التي يبدو بها اللون الحضاري . فكلمة الجبر والكحول والمناخ والعود والكيمياء وصفر وجلاب ورب وشراب وصداع وكحل والانبيق والقلي ورهج الغار وتوتيا وسكر وقهوة ونارنج وليمون وأمير البحر ودار الصناعة وعشرات غيرها نقلوها الى لغاتهم فقالوا في الانكليزية :

Algebra, alcohol, almanach, lute, alchemy, cipher, julep, rob, syrup, soda, cool, alembic, alkali, realgar, tutti, sugar, coffe, orange, lemon, admiral, arsenal.

ومرت العربية الفصحى في عهود مختلفة وانحطت عما بلغته قبلا لانحطاط أهلها ، بحيث جنحت الى الزخرف والتنميق وأنواع الجناس والبديع والصناعة اللفظية كما نرى في لغة المقامات التي اعتبرت في عصرها أبلغ ما كتبوا . ولكن حين بدا فجر النهضة

الاخيرة أخذت الفصحى تهبّ من غفوتها وشرعت تتطور . وأخذت أنماط الكتابة تتغير عما الفه القدماء . وانطلق النشر العربي انطلاقة كبرى . والذي يقرأ كتب طه حسين مثلا يرى الفرق الشاسع بين أسلوبه واسلوب الكتبة المحافظين القدماء . ومثل طه حسين عشرات الكتّاب الذين سلكوا سبلا قويمة جديدة في الاسلوب الكتابي في كل الاقطار العربية ، وكان للبنان ورجاله في القرنين التاسع عشر والعشرين الفضل الاكبر في شق هذا الطريق الجديد للناشئة الجديدة وفي تعميمه في دنيا العرب كلها عبر الصحافة والمدارس والجامعات . واني أدعو الاخ الكريم الى أن يقرأ ما كتبه شارل مالك في كتابه « لبنان في ذاته » ليرى اسهام لبنان في النهضة العربية الحديثة صحافة وطباعة وترجمة وتعليما وشعرا وأدبا .

وفي الختام ان الامر في جوهره يرجع الى الامة العربية وليس اللغة ، وان الذي يقرر مقدرة اللغة هو اهلها من العلماء والمفكرين . ولبنان على تقدمه ورقيه هو جزء صغير من العالم العربي ، والعدول عن اللغة التي تربط بين أجزاء هذا العالم المترابط شئنا أم أبينا الى عامية ضيقة هو حجر عثرة في سبيل تقدم لبنان نفسه وفي سبيل المحافظة على اثره في قيادة الفكر في العالم العربي .

ولبنان فوق ذلك هو كما قال بعضهم الرئة التي يتنفس بها العرب في المحنة التاريخية التي يمرون بها اليوم ، ولذلك وجب عليه المحافظة على دوره الثقافي التقليدي ولا يتم الا بمحافظته على الفصحى التي سبق وعززها ورفع بناءها في العصور الاخيرة كلها . كان زعماء النهضة الفكرية الصحيحة والحركة القومية العربية في الغالب من لبنان منذ أثارها ابراهيم اليازجي بقوله :

« تنبهوا واستفيقوا أيها العرب » .

وستظل الزعامة الفكرية فيه ويظل هو الرائد الاكبر في أدبه وصحافته وفي تجديد اللغة وتطورها وفي النضال الحقيقي في سبيل الحفاظ عليها . ولست أكتمكم ان مثل هذه الحركات في الدعوة الى العامية اللبنانية أو الحرف اللاتيني تسيء الى لبنان اكثر مما تنفعه ولا سيما انها لا تصل البلاد العربية الا مشوهة عن الغاية في نفوس أصحابها المسؤولين .

أوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا يا سعد تورد الابل (**)

(*) راجع : التطور النحوي للغة العربية ، للاستاذ برجشتراسر (مصر ، ١٩٢٩) .

(**) كلمة القاها الدكتور جبرائيل جبور خلال مناظرة جمعته وسعيد عقل في الرابية في ٣ نيسان ١٩٧٨ .

شهريات

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٣ ـ

الياس لحود ، وشوقي بزيع مثل هؤلاء جميعا ... وحين يستعرض الكاتب في نفسه هذا الموكب يجد ، مع ذلك ان هذا الحكم خطير ، فيستدرك ـ متناقضا مع كلامه الاول ـ بقوله « مع بعض التنويعات المختلفة » ...

أليست مواجهة القضية بهذه السذاجة وهذا التبسيط ضربا من المجانية في اصدار الاحكام التي لا تستند الا الى النزوات والشطحات ، ولا تقدم أي دليل على صحة المقولات ؟ اهكذا يمارس الناقد مهمته . ويؤرخ الراصد لحياتنا الادبية ؟

الم يشعر الكاتب بأي تهيب من أن يعلن هكذا . بجرّة قلم ، احتضار تجربة لا تزال ماضية في مسيرتها الصاعدة ، ولعلها أن تكون اهم تجربة في تاريخ الادب العربي الحديث ؟

ولنأخذ الآن النموذج الثاني من « دراسات » بول شاوول :

لقد كتب في العدد ٦٣ بتاريخ ٦ أيار الماضي من مجلة « المستقبل » :

« لعل اهم ما قدمته مجلة « الآداب » اللبنانية ، منذ مدة طويلة ، وبعدما انحسر دورها انحسارا شبه تام عن أية فعالية حقيقية في الواقع الثقافي العربي الذي تجاوزها ، هو العدد الخاص « بالادب المغربي الحديث » ...

هكذا يرقى الكاتب منبر القاضي ، فيصدر حكمه من غير تقديم أية بينة على انحسار دور « الآداب » (منذ مدة طويلة .. لماذا لم يعين : ١٠ سنوات بالضبط مثلا ؟) انحسارا « شبه » تام (نحمد الله انه لم يكن انحسارا تاما !) عن أية فاعلية حقيقية في الواقع الثقافي العربي ...

اما كيف يكون قد تم هذا الانحسار ، وهل سبق للكاتب أن كتب أية كلمة يتحدث فيها عن دور « الآداب » قبل هذا الانحسار ، حتى يحق له أن يتحدث عما يزعم انه واقعها الآن ، وما هي المجلات العربية الاخرى التي تولت هذا الدور بعد « الآداب » ، واستطاعت أن تستمر وتصمد ، واستقطبت الكتّاب فنشرت أبرز انتاجهم ...

اما هذا كله وسواه ، فليس من مهمة الكاتب القاضي الحكم أن يوضحه أو يفصّله .. حسبه أن يطلق تهمه وافتراءاته ، لانه من شدة ثقته بنفسه بحيث يعتقد ان القارىء اكثر عجلة ولامبالاة من أن يحقق أو يدقق أو يشكك في مثل هذه الاحكام !

أنكون بحاجة الى دليل آخر على ما يعانيه بعض النقد عندنا من الافتقار الى حسّ المسؤولية ؟

سهيل ادريس